المصدر: الاهرام
التاريخ: ١٦ اكتوبر ١٩٢٨

نظرة الى السودان المصري

ونتيجة مشروعات الري

الكبرى

قل للذين يريدون نسيان السودان او حمل هذا الجمهور المصري على تناسيه . انكم لفي ضلال مبين . فاذا رأيتم ان تقدموه ضحية لسياسة « يوم فيوم » او « ساعة فساعة » فما السياسة ان تنظر ليومك . بل هي ان تنظر لغدك . وما السياسة ان تعمل لنفسك بل السياسة ان تعمل لسلالتك وسلالة سلالة سلالتك . والسودان ملك مصر اليوم ، هو السودان الذي يجب ان يكون ملك سلالة سلالات المصريين في الغد . والسودان الذي فتحه محمد علي وعمره ومده ووالى خلفاؤه هذا الفتح والتعمير لم يكن يذل المال ومهج الرجال فيه تذوب ذوبان الثلج في حمارة القيظ — كما قال اللورد كرومر — الا لتستثمر بعد جيل ثروة اجيال

فقل للذين يريدون نسيان السودان اكراما ليوم انهم يضحون المستقبل والمستقبل ليس لهم وانما هم امناء عليه يحق الميراث ليوصلوه الى من يلونهم ويأتون بعدهم . فاغفال السودان ونسيانه ليس سياسة لمن يشتغلون بالسياسة ولكنه نقيض السياسة وخصمها وعدوها فهو لا يتفق معها بوجه من الوجوه او حال من الاحوال

من السودان يأتينا الماء والماء حياة مصر وقد كون الله الارض جميعا ولكن النيل كون مصر — كما يقول هيرودوت — فنحن الذين نهوا على جميع الحكومات التي تعاقبت وتوالت اهمال « السياسة المائية » لا نستطيع ان ننظر الى هذه المسألة من وجهة واحدة فقط اي من وجهة توافر الماء . فان هناك وجوها اخرى يجب ان ننظر اليها ويجب ان تنظر الحكومة اليها متذرعة بالحزم فتجمع بين الحسنيين وهي تتذرع بالحق

ونحن الذين حمدنا للوزارة سياستها المائية نود منها ان يتمها بالسياسة السودانية

فالقاعدة الاولى التي قررها المهندسون والمشارفون والاقتصاديون ان الحق الاول بمياه النيل هو الحق المقدس لمصر وحدها . فما زاد عن حاجة مصر يعطى لسواها واستنادا الى هذا الحق الذي قرره السير غارستن في تقريره المشار اليه على وجه التخصيص لا يجوز ان تؤخذ من مياه بحر قطرة واحدة تحتاج اليها مصر او لا توافر مثلها لمصر

واستنادا الى هذه القاعدة قال جميع المهندسين وقال الاقتصاديون معهم ان بناء قناطر جبل حمادي الذي ينفق عليه الان ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه انما كان سببه — على ما جاء في تقويم النيل للسير ونكدون باشا — اخذ مياه النيل الازرق لسد فكوار حتى بانت اراضي الصعيد تهدد بالشرق ولا تصل اليها المياه . فنفقة بناء هذه القناطر واقعة على حكومة السودان لا على حكومة مصر لان القناطر لم تبن الا لتوفير المياه للسودان . والى هذا اشار عبد الحميد باشا سليمان في تقريره وانما كانت اشارته ضعيفة طفيفة ولكنها معالجة للموضوع على كل حال

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وهذا خزان جبل الاولياء قد تقرر نهائيا استئناف العمل ببنائه وقد سألنا بعض كبار المهندسين الوطنيين رأيهم فيه وفيما قيل عن قاعه وامكان ابتلاع ذلك القاع لما يتجمع فيه من المياه كما قيل وكما سمعنا من بعض المهندسين والكتاب فكان الجواب انهم لا يعلمون جميع المستندات والمباحث والرسوم ليبدوا رأيا اكيدا مستندا الى المباحث كلها وهم لا يجيزون لانفسهم ابداء رأي ليس خميرا وليس ناضجا . فهل للحكومة ان تضع تلك الرسوم والتصميمات والمباحث امام كبار مهندسينا والخبراء منا ليبدوا فيها آراءهم

الا يحق لنا ان نطلب من الحكومة جمع لجنة استشارية فنية من رجال كمرتي باشا وشفيق باشا وحسين واصف باشا وامثالهم من كبار المهندسين والخبراء للتباحث والدرس في هذا الموضوع الذي لا يتقدمه في نظرنا موضوع آخر. انا اذا طلبنا هذا الطلب لا نطلب حراما ولا نريد نجريحا بل نطلب حقا للامة ونطلب بهذا الحق اراحة ضمير الحكومة واراحة ضمير الامة التي ستنفق من اموالها غداً على السدود ومشروعات الري في السودان ومصر مالا يقل عن ٤٠ مليون جنيه ليتوافر لها زرع مليون ونصف مليون فدان لا مندوحة عن تعميرها وزرعها ليجد ابناء هذه الامة مرتزقا لهم

واذا قلنا اننا سنصرف غدا على هذه المشروعات ٣٠ او ٥٠ مليون جنيه فليس في هذا القول ما يؤاخذ عليه الحكومة بل الامر على الضد وفي قواعد علم الاقتصاد واوائل مقدماته « ليس العيب على الدولة التي تستدين لتعمر ولكن العيب على الدولة التي لا تستدين لتصلح وتعمر » فكيف بنا ونحن لا نستدين ونأمل الا نستدين لنعمر ونصلح ونوافر الرزق للاهالي

هناك مسالة اخرى تابعة لهذه المسألة الانشائية اي بناء الخزان وهي مسالة فتح السدود فهي من كل الوجوه تشبه بناء قناطر نجع حمادي او هي اكثر التصاقا بمصلحة مصر لان الذين يكلفون فتح السدود هم المصريون والاموال التي تنفق على حفر تلك السدود اموال مصرية . فهل تسال حكومة مصر عن مصير الاراضي التي تغمرها الآن المياه وستصير غداً بافضل الاموال المصرية ارضا جانة صالحة للزراعة ؟

ان تلك الاراضي هي الآن بحيرات تغمرها المياه وجهها وهذه المياه ستكشفها عنها الاموال المصرية والايدي المصرية افلا يكون من الحق والعدالة ان تكون ملكا لمصر بحق مالها وعملها ؟

لا نعرف مساحة اراضي السدود بانضبط ولكننا نعرف انها الملايين من الفدادين وهذه الملايين من الفدادين ستكون بعد كشف المياه عنها اخصب تربة في الارض وستكون بعد كشف تلك المياه اخصب مزارع القطن في العالم. ولا نقول ذلك رجماً بالغيب ولا حدساً . ولكننا نقوله استنادا الى الواقع والواقع ان القطن المصري جاء من تلك الجهات فاذا كان قد اكتشف في نحو سنة ١٨٢٠ في حديقة محو بك بالقاهرة وقد زرعت شجرته بجمال زهرها فان البحث والتحري الذي قام به النباتيون الفرنساويون في ذلك العهد دلهم على ان هذا القطن من السودان العالي ومن منطقة السدود على وجه التخصيص لان القطن الذي كان يستنبت في سواحل سوريا وفلسطين منذ اقدم العصور والاجيال

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

فمنطقة السدود هي اذن منطقة القطن فاذا جففت تربتها استطاعوا زرع القطن فيها واكثروا واعلوا اين يتوفق قطنها القطن المصري في الكمية والنوع . فاين يكون نصيب مصر واين يكون نصيب المصريين يومئذ ؟ والمصريون هم الذين كشفوا الارض ونزحوا الماء عنها ؟ الا يصح ان نقال هنا تلك الكلمة الاقتصادية الشرعية المأثورة « الصيد لمن انازه ؟ ؟ »

يقولون تناويؤكدون ان الحكومة الانكليزية قد تساهلت كثيرا مع حكومتنا في مسألة تعلية خزان اسوان و بناء سد جبل الاولياء فابانت تعلية الخزان بعدان كانت تعارض فيه . وتنازلت عن الطلب الذي كانت تطلبه لاباحة بناء سد الجبل جبل الاولياء . بانوا كلفت بتعويض نصف مليون جنيه عن الاراضي التي يغمرها ماء ذلك الخزان . وعدلت عن الطلب الاخر وهو ان تقدم حكومة مصر لحكومة السودان قرضا يبلغ ثلاثة ملايين جنيه او ان تضمن لها هذا القرض .

فاذا عدوا ذلك من التساهل والعمل بروح التفاهم افلا يجوز لنا ان نطلب من جانب آخر العمل بهذه الروح روح التفاهم وبروح العدل والانصاف اذا طلبنا ان تملك حكومتنا تلك الارض التي ينحسر عنها الماء بانجريه من المصارف وبما نحفره بمالنا و بايدينا من المسارب والاقنية والخنادق ؟

نظن ان طلبنا هذا حق وعدل لا يستطيع احد في العالم ان ينكره علينا . و يجد فيه ابناء مصر اذا طلب واجيب لمصلحة مصر وانكلترا معا مزارع للمصريين يحمرونها ليانتفعوا وتنتفع انكلترا من حاصلاتها . وهم الان يؤخذون بالالوف على ايدي المقاولين الى الجزيرة لاصلاح ارضها ولزراعة تلك الارض والحكومة تعرف — لانه يطلب منها التصريح — ان اولئك المقاولين يرحلون الى السودان في كل شهر المئات من اهالي الصعيد لتعمير ارض السودان من حدود الخرطوم الى حدود الحبشة

فليس تجنيا على الانكليز ان نكون الارض التي ينحسر عنها الماء غدا للمصريين . لانهم لا يزرعون الارض بايديهم ولكنه يهمهم ان تزرع الارض ليكون نتاجها لمعاملهم . وهذه ارضنا المصرية ذاتها مثلها الان كمثل الاراضي السودانية او اقل كلفة على الانكليز ومعاملهم يزرعها المصري ليأخذ الانكليزي نتاجها لمعامله . بل قد يكون اعطاء تلك الارض للمصريين اكثر منفعة للانكليزي واعظم جدوى لانه لا يكلف ولا حكومة السودان تكلف اجور العمال والنفقات على اصلاح الاراضي

وهذه المسائل الاولية تتبعها مسائل اخرى حيوية وهي صيانة الخزانات والسدود وحمايتها فالمصريون يودون ان يكونوا مرتاحي البال من هذه الناحية فهل بالامكان ان تتحلى لهم هذه الراحة بايكال الامر الى سواهم ؟ !

انا اذا القينا هذا السؤال على الانكليز ذاتهم وقلنا لهم اجيبوا عليه بروح العدالة والانصاف فانا لا نظنهم يجيبون جوابا آخر الا الجواب الذي يجيبه المصري . وهو ان حياة مصر معلقة على تلك السدود والخزانات فالواجب ان توكل الى من تتوقف حياته على تلك الاعمال والمصطنعات حراسة تلك السدود . واذا قلنا نحن ذلك نجد ايضا من الانكليز ذاتهم من يقوله ولاجل هذا القول بل لاجل هذا الراي قالوا لنا ان الحاكم السابق السير ارشر استعفى من حكم السودان الذي كان ينفق فيه الجيش المصري مليوني جنيه وهي نفقة تدر الرزق على السودانيين فضلا عن

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

حماية الامن والراحة التي كان يقوم بها ذلك
الجيش في جميع انحاء السودان بكل همة و بكل
اخلاص و بكل نشاط و بسالة لا يستطيع جيش
آخر ان يقوم بها مقامه وان كان هذا الجيش
سودانيا ومن السودانيين وحدهم

ان الامبراطورية الانكليزية لم توطد ولم
تعزز بالقوة فقط ولكنها وطدت وعززت بحسن
السياسة . وجل ما في حسن السياسة الوصول
الى الاتفاق مع الامم التي تسيطر عليها انكلترا
ولا يمكن ان يكون الاتفاق الا حيث كان
الانصاف ووجد فهل بالامكان الوصول الى هذا
الانصاف لنصل منه الى الاتفاق الصحيح ؟ ؟

ان الجواب عند الانكليز وهو دائما عندهم
فهم يقولون كلمتهم فيه لنصفق لهم مصر بكلتا يديها

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية